العمل الخيري في القرآن
وأثره في الإصلاح التربوي والنفسي

إعداد:

د/ تهاني سالم باحويرث

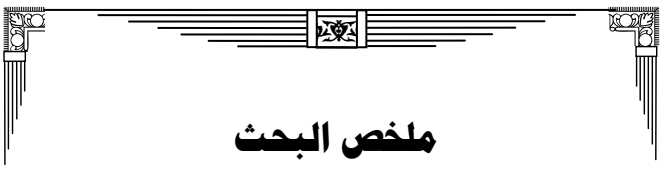

ملخص البحث

هدف البحث

بيان مفهوم العمل الخيري وأهميته في الإسلام، وبيان أثره الكبير في إصلاح الفرد والمجتمع، وأن يكون لبنة في ترسيخ ثقافة العمل الخيري في المجتمع.

منهج البحث: المنهج الاستقرائي التحليلي.

أقسام البحث: اشتمل البحث علىٰ مقدمة، وتمهيد تحدثت فيه عن مفهوم العمل الخيري، ومرادفاته ومجالاته المادية والمعنوية في القرآن الكريم، ومبحث رئيس تحدثت فيه عن مفهوم الإصلاح التربوي والنفسي وعناية القرآن بهما، وأثر العمل الخيري علىٰ الإصلاح التربوي والنفسي للمجتمع، وخاتمة اشتملت علىٰ أهم النتائج والتوصيات، وفهرس المراجع والموضوعات.

توصيات البحث: إشراك العملية التعليمية في إدخال مفهوم العمل الخيري في المناهج التعليمية لتكون تطبيقا تربويا سلوكيا لما يدرسه الطلاب من آيات وأحاديث وقيم دينية تحث علىٰ هذا الأمر، والتشجيع علىٰ العمل الخيري في الهيئات والجمعيات الخيرية بتخصيص أعمال مسائية تتناسب مع حاجات الشباب النفسية والاجتماعية، وتفعيل دور العقوبات البديلة وفق أنظمة الشرع، وتفعيل دور الإعلام ليقوم بواجبه في رفع مستوىٰ الوعي لدىٰ أفراد المجتمع بأهمية العمل الخيري والانخراط فيه، وعمل اللقاءات والمؤتمرات السنوية أو الدورية للمؤسسات الخيرية وللمتطوعين ليقدموا فيها خبراتهم.

مقدمة البحث

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه ومن والاه إلىٰ يوم الدين.

وبعد:

فقد كان للإسلام السبق في الاعتناء بالعمل الخيري في شتىٰ المجالات لما فيه من مصالح للعباد، فمثلت مواقف الأنبياء مع أقوامهم وقيامهم بتحمل المسؤولية تجاه دعواتهم النموذج الأمثل للعمل الخيري في القرآن الكريم، حين قاموا بأداء دعوتهم إلىٰ الله علىٰ أكمل وجه مع عدم انتظار المقابل من أقوامهم، بل أعلنوا ذلك صراحة في كثير من الآيات، فهذا نوح عليه السلام أوضح لقومه بأنه لا يريد منهم الأجر لقاء دعوته، قال تعالىٰ: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [يونس: ٧٢]، وكذلك صرح هود عليه السلام بقوله: ﴿يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾﴾ [هود: ٥١]، وكذلك صالح عليه السلام في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [الشعراء: ١٤٥]، كما بين لنا القرآن ذلك في قصة شعيب عليه السلام في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الشعراء: ١٨٠]، ومثله لوط عليه السلام حين قال: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٤﴾﴾ [الشعراء: ١٦٤]، وهذا ما صرح به

النبي ﷺ بقوله: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ٩٠﴾ [الأنعام: ٩٠]، كما اتضح اهتمام القرآن الكريم بالعمل الخيري في العديد من قصصه، من ذلك ما حكاه الله عز وجل عن ذي القرنين حين طُلب منه بناء السد للنجاة من شر يأجوج ومأجوج، وحين بادر إلىٰ بناء السد مع الزهد في أخذ الأجرة دون تمنن أو استكثار، فلم يكن له غرض من ذلك سوىٰ فعل الخير للناس من أجل الإصلاح [(١)]، قال تعالىٰ: ﴿قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا ٩٤ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا ٩٥﴾ [الكهف: ٩٤ – ٩٥]، ومن ذلك ما أورده القرآن الكريم من كفالة زكريا عليه السلام لمريم بنت عمران واحتضانها وضمها إلىٰ نفقته [(٢)]، قال تعالىٰ: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۡبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ [آل عمران: ٣٧]، كما أخبرنا القرآن الكريم عن مسارعة موسىٰ عليه السلام لإغاثة الفتاتين بالسقاء مبادرة منه دون طلب، قال تعالىٰ: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ ٢٣ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ﴾ [القصص: ٢٣ - ٢٤]، كل ذلك وغيره يدل علىٰ عظم شأن العمل الخيري في الإسلام وعظم أثره علىٰ الأفراد والمجتمعات، وارتباطه الوثيق بمقاصد الإسلام، كحفظ النفس من كل ما يضرها ويؤذيها، وعمارة الأرض واستمرار صلاحها بصلاح المستخلَفين فيها، كما أن للعمل الخيري ارتباطًا وثيقًا بحفظ نظام الأمة واستدامة صلاحها، ولا يكون ذلك إلا بصلاح الإنسان،

(١) ينظر: تفسير القاسمي، (٧/ ٦٨)، وتفسير السعدي، (١/ ٤٨٦).

(٢) ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية، (١/ ٤٢٥)، والتحرير والتنوير لابن عاشور، (٣/ ٢٣٦).

صلاح عقله وقلبه ونفسه [1]، لأنه لا استقامة لهذه الحياة إلا باستقامة الإنسان في جميع جوانبه وأركانه، وخاصة استقامة جانبه التربوي والنفسي، لكون الأمراض النفسية والسلوكية من أشد ما يضر المجتمعات ويفتك بها، ولتحقيق هذا الهدف لابد من العناية بجميع المناهج التي تؤدي إلىٰ استنهاض الدافعية للإعمار في نفس الإنسان، فضعف الحافزية أكبر عقبة تواجه أي إصلاح للأفراد والمجتمعات، ولاشك أن الاهتمام بالعمل الخيري منهجاً وأسلوباً لرفع دافعية الفرد وإنجازه من أكبر ما يعين علىٰ مهمة الإصلاح الكبرىٰ للإنسان، قال علماء الاجتماع: إن المسار الصحيح لأي مجتمع هو مشاركة جميع أفراده في شؤونه وتفاعلهم مع بعضهم البعض. [2]

لذا يجب علىٰ المختصين في جميع المجالات التعاون من أجل رفع الوعي بأهمية العمل الخيري كأداة لإصلاح الإنسان، فلا يمكن الاعتماد علىٰ المؤسسات التربوية أو الدينية للقيام بهذا الدور، بل لابد من المسؤولية المجتمعية بإقامة المؤتمرات وكتابة الدراسات المعينة علىٰ تثقيف المجتمع بأهمية العمل الخيري، وبيان آثاره الإصلاحية علىٰ الأفراد والجماعات، ومن هنا كانت الغاية من كتابة هذا البحث: بيان أهمية العمل الخيري وأثره الكبير في الإصلاح التربوي والنفسي في المجتمع، وفق المنهج العلمي الإسلامي القويم الذي

يستجيب لحاجات فطرة الإنسان، فكان بعنوان: **(العمل الخيري في القرآن وأثره في الإصلاح التربوي والنفسي)**، وجاءت **أهدافه** موضحة فيما يلي:

---

(١) ينظر: مقاصد الشريعة الإسلامية لابن عاشور، (٢/ ١٢٢).

(٢) ينظر: الإسلام والأمن الاجتماعي لمحمد عمارة، (ص٩٧).

١- بيان مفهوم العمل الخيري.

٢- بيان مفهوم الإصلاح النفسي والتربوي.

٣- بيان أهمية العمل الخيري في القرآن الكريم ومجالاته المادية والمعنوية.

٤- بيان أثر العمل الخيري علىٰ إصلاح المجتمع نفسياً وتربوياً.

٥- بيان عناية القرآن الكريم بالنفس الإنسانية؛ لأن الإنسان هو المقصود بالهداية والإصلاح.

٦- التأكيد علىٰ أن القرآن يحوي حلولاً لجميع مشاكل المجتمع المعاصر.

❁ أما خطة البحث فجاءت على النحو التالي:

اشتمل البحث علىٰ مقدمة، وتمهيد، ومبحث، وخاتمة.

مقدمة البحث: واشتملت علىٰ موضوع البحث، وأهميته، وأهدافه، ومنهج البحث، وخطته.

تمهيد، ويشتمل علىٰ المطالب التالية:

المطلب الأول: مفهوم العمل الخيري.

المطلب الثاني: مرادفات العمل الخيري في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: المجالات المادية والمعنوية للعمل الخيري في القرآن الكريم.

مبحث رئيس: أثر العمل الخيري في الإصلاح التربوي والنفسي، ويشتمل علىٰ مطلبين:

المطلب الأول: مفهوم الإصلاح التربوي والنفسي، وعناية القرآن الكريم بهما.

المطلب الثاني: أثر العمل الخيري في الإصلاح التربوي والنفسي للمجتمع.

خاتمة البحث: وتشتمل علىٰ النتائج والتوصيات.

ثم فهرس المراجع وفهرس الموضوعات.

❁ وأما المنهج العلمي للبحث:

فقد اعتمدت منهجا استقرائيا تحليليا لآيات القرآن الكريم التي وردت فيها مرادفات العمل الخيري، وبيان آثارها العلاجية في إصلاح الأمة تربويا ونفسيا، كما اعتنيت في كتابة البحث بالأمور الفنية المتبعة في الرسائل العلمية، ومنها:

- كتابة الآيات بالرسم العثماني، مع بيان اسم السورة ورقم الآية.
- عزوت الأحاديث إلىٰ مظانها من كتب المتون بذكر اسم الكتاب، والجزء، ورقم الصفحة، ورقم الحديث إن وجد، مع الاكتفاء بالصحيحين عند ورود الحديث فيهما أو في أحدهما.
- توثيق نصوص المفسرين والعلماء من المصادر الأصلية.
- وضع علامة التنصيص"" عند نقل نص المؤلف من أحد المصادر مع الإحالة، وترك ذلك عند نقل مفهوم الكلام ومعناه، مع الإشارة إلىٰ المرجع في الحاشية بعبارة (ينظر).
- ذكر المراجع في آخر كل صفحة، مكتفية بالإشارة إلىٰ الكتاب واسم المؤلف مع رقم الصفحة، أما ذكر تفاصيل الطباعة والنشر، فأوردته في فهرس

المراجع.

هذا وآمل أن أكون قد أوفيت هذا الموضوع حقه من البحث والدراسة بما يتناسب مع أهميته، وبالله التوفيق.

تمهيد، وفيه مطالب:

المطلب الأول: مفهوم العمل الخيري.

المطلب الثاني: مرادفات العمل الخيري في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: المجالات المادية والمعنوية للعمل الخيري في القرآن الكريم.

المطلب الأول

مفهوم العمل الخيري

مصطلح العمل الخيري مركب وصفي مكون من كلمتين: العمل، والخيري، ولبيان مفهوم هذا المصطلح لابد من بيان معنىٰ الكلمتين ابتداء.

❁ معنى العمل لغة:

(عمل): العين والميم واللام أصل واحد صحيح، وهو عام في كل فعل، عمل عملا [(١)]، وأعمله غيره، (استعمله) أي طلب إليه العمل، أو عمل به، (واستعمل فلان غيره) إذا سأله أن يعمل لديه، (وأعمل فلان ذهنه في كذا) إذا تدبره بفهمه، (واعتمل الرجل) أي عمل بنفسه وأعمل رأيه وآلته، (والعامل) هو الذي يتولىٰ أمور الرجل في ماله وملكه وعمله، ومنه قيل للذي يستخرج الزكاة عامل، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلْعَـٰمِلِينَ عَلَيْهَا﴾ [التوبة: ٦٠]، (واستُعمل فلان) إذا ولي عملا من أعمال السلطان، (والاعتمال) افتعال العمل، أي أنهم يقومون بما يُحتاج إليه من عمارة وزراعة وحراسة ونحو ذلك.[(٢)]

ومن خلال تتبع المعاني اللغوية لكلمة العمل يمكن استنتاج ما يلي:

أولا: أن العمل لغة يدور حول الفعل، فيشمل كل عمل وفعل للإنسان سواء

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس، (٤/ ١٤٥).

(٢) ينظر: لسان العرب لابن منظور، (١١/ ٤٧٤)، والقاموس المحيط للفيروز أبادي، (١/ ١٠٣٦).

كان عقليا أو جسديا.

ثانيا: أن العمل يطلق علىٰ المهنة، يدل علىٰ ذلك أن أحد معاني العمل: الاستعمال، وهو تولي أحد أعمال السلطان.

ثالثا: أن العمل يطلق علىٰ الأعمال الصالحة أو السيئة، قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾ [الإسراء: ٩]، وقال سبحانه: ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [القصص: ٨٤].

رابعا: أن العمل أخص من الفعل، لأنه كل عمل يكون بإرادة وقصد بخلاف الفعل الذي قد يكون بقصد أو بدون قصد، فالعمل" إيجاد الأثر في الشيء، يقال: فلان يعمل الطين خزفا، ويعمل الخوص زنبيلا، والأديم سقاء، ولا يقال: يفعل ذلك، لأن فعل ذلك الشيء هو إيجاده".(١)

وقد ورد لفظ (العمل) في القرآن للدلالة علىٰ مطلق العمل: ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [هود: ١١١]، وقال تعالىٰ: ﴿ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ﴾ [البقرة: ١٣٩]، أو للدلالة علىٰ العمل الصالح كما قال تعالىٰ: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل: ٩٧]، وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ ﴾ [طه: ٧٥]، أو الدلالة علىٰ العمل السيء في قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [المائدة: ٩٠]، وقال سبحانه:

(١) الفروق اللغوية لابن عساكر، (١/ ١٣٤).

﴿ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [يونس: ٨١].

❁ معنى الخير في اللغة:

(خير): الخاء والياء والراء أصله العطف والميل، فالخير ضد الشر [(١)]، وجمعه خيور، ورجل خيْر وخيِّر، والجمع أخيار وخِيار، قال تعالىٰ: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ﴾ [التوبة: ٨٨]، (واختار الرجل شيئا) إذا انتقاه، قال تعالىٰ: ﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ﴾ [الأعراف: ١٥٥]،

والاسم: الخِيرة بالكسر، (والخِيرة) الخيار، (وخار الله لك في الأمر) جعل لك فيه الخير، (وخاره علىٰ صاحبه) أي فضّله، (والاستخارة) أن تسأل خير الأمرين لك، يتضح من هذا أن الخير هو المعروف وهو الأمر الحسن الذي يؤدي إلىٰ الثواب.[(٢)]

وقد ورد لفظ الخير في القرآن الكريم بصيغتيه الإسمية والوصفية، أما بالصيغة الإسمية فيعني المعروف، قال تعالىٰ: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾﴾ [البقرة: ٢١٥]،

وأما بالصيغة الوصفية فيكون بمعنىٰ الأفضلية، قال تعالىٰ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [البقرة: ٢١٦].

---

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس، (٢/ ٢٣٢).

(٢) ينظر: لسان العرب لابن منظور، (٤/ ٢٦٤)، والقاموس المحيط للفيروز أبادي، (١/ ٣٨٩).

❁ **مفهوم العمل الخيري:**

لم يرد هذا المصطلح في القرآن الكريم لكن دل علىٰ مفهومه كثير من المصطلحات والتراكيب، وقد اختلفت تعريفات هذا المصطلح حسب مفاهيم عدة بين المختصين بهذا المجال، لكن غالب التعريفات متفقة علىٰ أن العمل الخيري:

- **جهد يبذله الفرد لمصلحة مجتمعه دون انتظار مقابل مادي.**
- **جهد إرادي يقوم به الأفراد طواعية وبدون أي ضغط أو إجبار.**
- **عمل يعكس مدىٰ وعي الأفراد وإدراكهم لدورهم في مجتمعاتهم** ومدىٰ انتمائهم له، وبالتالي فهو غير منحصر في طبقة اجتماعية معينة أو زمن معين.

ويمكن تعريف (العمل الخيري) تربويا واجتماعيا بأنه: أي نفع مادي أو معنوي أو فكري يقدمه الإنسان باختياره لغيره دون انتظار مردود مقابله، بهدف الإسهام في خدمة مجتمعه، أو من أجل الحصول علىٰ الثناء، أو الرغبة في الإنجاز، أو الانتماء، أو السلطة، أو الرغبة في تحقيق الذات، واكتساب الخبرات.[1]

أما تعريفه شرعا فيمكن القول: إنه العمل الحسن الذي يفعله المسلم من تلقاء نفسه تجاه غيره تلبية لأوامر الله، وابتغاء مرضاته، في أي مجال من مجالات

(١) ينظر: التطوع في الدفاع المدني والحماية المدنية، لمساعد اللحياني، (ص٥٢).

وينظر: العمل الاجتماعي مع التركيز علىٰ العمل التطوعي في المملكة العربية السعودية، لعبد الله النعيم، (٢٥).

وينظر: دراسة استطلاعية نحو مفهوم العمل التطوعي ومجالاته من وجهة نظرهم، لعبد الحكيم موسىٰ، (ص ٩).

الحياة، مما يعود عليه وعلىٰ مجتمعه بالنفع والفائدة.

فعمل الخير والإحسان إلىٰ الغير له حسنات ومنافع وفضائل علىٰ النفس، أحدها: فضيلة الجود والسخاء؛ وذلك لأن مراتب السعادة ثلاث: نفسية وبدنية وخارجية، فمتىٰ حصل الإنفاق حصل الكمال النفسي وهذه الحالة أكمل.(١)

من هنا تجدر الإشارة إلىٰ أن العمل الخيري عمل إنساني لا يقتصر علىٰ تقديم الإعانات المالية أو المادية فحسب، بل يشمل كل ما يحتاجه الفرد والمجتمع في مجال الفكر والثقافة، والتربية والتهذيب، والصحة والرعاية النفسية والجسدية، بل يتعدىٰ ذلك إلىٰ الاهتمام بالأرض والبيئة التي يعيش فيها الناس، وهذا مما دعا إليه الإسلام، فالدين الحنيف اهتم بالتربية الدينية والخلقية والعقلية والنفسية اهتماما كبيرا؛ لما لها من أثر كبير علىٰ الفرد والمجتمع، ولا شك أن أحد الأساليب العلاجية للوصول لهذه الصحة النفسية هو تنمية العلاقات والقيم المجتمعية بين الناس، ولا أدل علىٰ ذلك من فعل الخير والتفاني في بذله، قال تعالىٰ: ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ [البقرة: ١٤٨]، وقال سبحانه: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰ﴾[المائدة:٢].

(١) ينظر: التفسير الكبير للرازي بتصرف، (٧/ ٥٧).

المطلب الثاني

مرادفات العمل الخيري في القرآن الكريم

لم يرد مصطلح (العمل الخيري) في القرآن الكريم كما بينت سابقا، لكن اقترنت كلمة (العمل) مع كلمة (الخير) في آية واحدة في أكثر من موضع في القرآن الكريم، قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ﴾ [آل عمران: ٣٠]، وقال سبحانه: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٧ – ٨].

وعند البحث عن مرادفات لهذا المصطلح وردت في القرآن الكريم نجد عدة مرادفات لها نفس المعنىٰ، يمكن حصرها في التراكيب التالية:

- **(الفعل الخيري):**

وردت كلمة (الفعل) مقترنة مع كلمة (الخير) في آية واحدة عدة مرات في القرآن الكريم، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾[البقرة: ١٩٧]، وقال سبحانه:﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٥]، وقال: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ۝١١٥﴾ [آل عمران:١١٥]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٢٧]، وقال سبحانه: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

[الحج: ٧٧]،" وأما الخير فهو النفع الحسن وما يؤدي إليه" [١]، والمراد" صلة الرحم ومكارم الأخلاق". [٢]

- **(التطوع الخيري):**

ورد هذا التركيب مرتين فقط في القرآن الكريم، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾ [البقرة: ١٥٨]،

وقال تعالىٰ: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾﴾ [البقرة: ١٨٤].

- **(الإنفاق الخيري):**

لم ترد هذه الصيغة في القرآن الكريم، لكنه ورد بهذا المفهوم في أكثر من موضع، قال تعالىٰ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾﴾ [البقرة: ٢١٥]، وقال تعالىٰ: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾﴾ [البقرة: ٢٧٢ –

(١) التفسير الكبير للرازي، (٢٣/ ٢٥٤).

(٢) اللباب لابن عادل، (١٤/ ١٥٥).

٢٧٣]، وقال سبحانه: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾﴾ [التغابن: ١٦].

كما يمكننا إضافة مفهومي **(المسابقة إلىٰ الخيرات)** و **(المسارعة إلىٰ الخيرات)** مرادفات لمعنىٰ (العمل الخيري)، وقد ورد هذان التركيبان في أكثر من آية في القرآن الكريم،

قال تعالىٰ: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾﴾ [البقرة: ١٤٨]، وقال تعالىٰ: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً ۗ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ۖ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [آل عمران: ١١٣ – ١١٤]،

وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة: ٤٨]، وقال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾ [فاطر: ٣٢].

كما يمكن إضافة مفهوم **(الإيثار)** الوارد في القرآن الكريم للدلالة علىٰ العمل الخيري، كما جاء في قوله تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر: ٩].

وكذلك يمكن إضافة مصطلح **(البر)** للدلالة علىٰ معنىٰ العمل الخيري، حيث ورد معنىٰ البر في القرآن الكريم في آيات عديدة بأنه جملة من أعمال الخير،

قال تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة: ١٧٧]، وقال سبحانه: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾ [آل عمران: ٩٢].

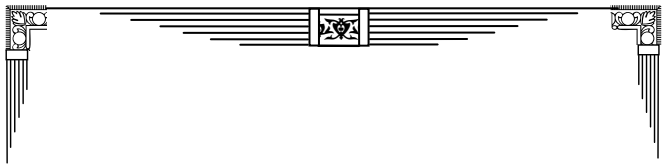

المطلب الثالث

المجالات المادية والمعنوية للعمل الخيري في القرآن الكريم:

للعمل الخيري جذور وأصول في القرآن الكريم تتمثل في كل ما يدعو إلىٰ التراحم، والتوادّ، والتعاون، والتكافل، والتناصر، والتآزر، والمناصرة، والمروءة، والبذل والعطاء، والإنفاق، والمسارعة في الخيرات، وغير ذلك من مدلولات، حيث دعت النصوص الشرعية إلىٰ عمل الخير والبذل بالمال أو النفس أو القول، فتنوعت مجالات العمل الخيري في القرآن الكريم حتىٰ شملت كافة مناحي الحياة المادية والمعنوية، كما دعا النبي ﷺ إلىٰ هذه المعاني فتمثلت في صور كثيرة من حياته عليه الصلاة والسلام وحياة أصحابه رضوان الله عليهم، كالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وبناء المسجد النبوي، وحفر الخندق، والتعاون الذي حصل من أجل جمع القرآن وكتابة الوحي، وغير ذلك من صور وأحداث.

وعند الحديث عن مجالات العمل الخيري بشكل عام، فإنه لا يمكن حصرها بشكل محدد ومنضبط لاتساع مجال مفهومها، فعمل الخير" إما أن يكون بإيصال المنفعة، أو بدفع المضرة، أما إيصال الخير فإما أن يكون من الخيرات الجسمانية وهو إعطاء المال وإليه الإشارة بقوله: ﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾، وإما أن يكون من الخيرات الروحانية وهو عبارة عن تكميل القوة النظرية بالعلوم، أو تكميل القوة العملية بالأفعال الحسنة، ومجموعهما عبارة عن الأمر بالمعروف، وإليه الإشارة بقوله: ﴿أَوْ مَعْرُوفٍ﴾، وأما إزالة الضرر فإليها الإشارة بقوله تعالىٰ:

﴿أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ فثبت أن مجامع الخيرات مذكورة في هذه الآية" [1]، وهنا أستعرض أهم ما ورد في القرآن الكريم من أعمال خير أرشدنا إليها الإسلام، وحثنا علىٰ فعلها وبين فضلها وعظيم ثوابها، سواء أكان ذلك ماديا أو معنويا:

++ومن المجالات المادية للعمل الخيري في القرآن الكريم:

- إطعام الطعام، قال تعالىٰ: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾﴾ [الإنسان: ٨ – ٩].

- بذل المال للفقراء والمحتاجين، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾ [البقرة: ٢٥٤]، وقال سبحانه: ﴿وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾﴾ [الذاريات: ١٩]، وقال تعالىٰ: ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾﴾ [الحديد: ٧].

- العناية بالأيتام وكفالتهم، قال تعالىٰ: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾﴾ [النساء: ٢].

- الاعتناء بابن السبيل، وقد ورد ذلك كثيرا في كتاب الله تعالىٰ، قال سبحانه: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾﴾ [البقرة: ٢١٥].

- الاهتمام بذوي القربىٰ، قال تعالىٰ: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ

(١) نقلا عن التفسير الكبير للرازي عند شرحه لقوله تعالىٰ: ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤]، (١١/ ٢١٨).

ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٦]، وقال سبحانه: ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الروم: ٣٨].

• تزويج الأيامىٰ، قال تعالىٰ: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾﴾ [النور: ٣٢].

• إكرام الجار، قال تعالىٰ: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾ [النساء: ٣٦].

• إكرام الضيف، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر: ٩].

• الإحسان إلىٰ الأسرىٰ، قال تعالىٰ: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ [الإنسان: ٨].

• الإحسان إلىٰ ملك اليمين، قال تعالىٰ: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾ [النساء: ٣٦].

• مساعدة الغارمين، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَـٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْعَـٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَـٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ

وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ [التوبة: ٦٠].

• قضاء حوائج الناس، قال تعالىٰ: ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾ [النساء: ٨٥].

❁ أما المجالات المعنوية لعمل الخير في القرآن الكريم فمنها:

• الاهتمام بالتعليم وبذله للناس، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ [التوبة: ١٢٢].

• الإصلاح بين الناس، قال تعالىٰ: ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ [النساء: ١١٤]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ [الحجرات: ١٠].

• الكلمة الطيبة، قال تعالىٰ: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣]، وقال تعالىٰ: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ [البقرة: ٢٦٣].

• الإحسان إلىٰ الأسرىٰ بالكلام الطيب، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ [الأنفال: ٧٠].

• الإحسان إلىٰ الأيتام، قال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ [الضحىٰ: ٩].

• بالإضافة إلىٰ العطاء المعنوي والدعم النفسي، الذي يشمله معظم ما ورد من أعمال خير في المجال المادي، كالعناية بالأيتام، وذوي القربىٰ، والاهتمام

بالجار، وإكرام الضيف، والإحسان إلىٰ ملك اليمين، والسعي لقضاء حوائج الناس المعنوية، كحسن الإنصات وتقديم المشورة عند الحاجة.

وأعمال الخير في الإسلام بمجالاتها المادية والمعنوية تنبع غالبا من دوافع عدة منها:

- ابتغاء الثواب من الله عز وجل، ويعد الدافع الأكبر للمسلمين لبذل الخير للآخرين.

- التعاون علىٰ البر والتقوىٰ، والذي هو أحد" أركان الهداية الاجتماعية في القرآن، إذ يوجب علىٰ الناس أن يعين بعضهم بعضا علىٰ كل ما ينفع الناس أفرادا وجماعات في دينهم ودنياهم، وعلىٰ كل عمل من أعمال التقوىٰ، التي يدفعون بها المفاسد والمضار عن أنفسهم".[1]

كما يمكننا القول: إن مجالات الإنفاق والعطاء المشارة إليها في القرآن تشمل المجالات الدعوية، والتعليمية، والاجتماعية كإنشاء مؤسسات التكافل الاجتماعي ودعمها، ومؤسسات النصح والإرشاد الأسري، كما تشمل المجالات الصحية، والإعلامية الهادفة، والمجالات الصناعية التي تسد حاجات المجتمعات، والمجالات الزراعية، والإغاثية، والعلمية التي تنشر الأبحاث التوعوية التي تسهم في رفع مستوىٰ العمل الخيري في الأمة، وغير ذلك من مجالات.

(١) تفسير المراغي، (٦/ ٤٦).

مبحث رئيس، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم الإصلاح التربوي والنفسي وعناية القرآن الكريم بهما.

المطلب الثاني: أثر العمل الخيري في الإصلاح التربوي والنفسي للمجتمع.

المطلب الأول: مفهوم الإصلاح التربوي والنفسي وعناية القرآن بهما:

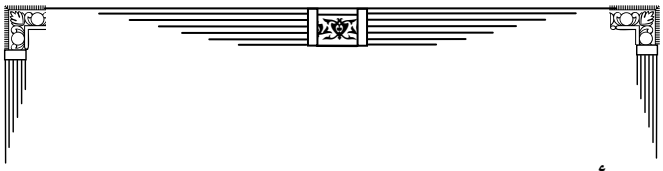

أولا: مفهوم الإصلاح التربوي والنفسي

هذا المفهوم مكون من مصطلحات ثلاثة: (الإصلاح)، و(التربية)، والنفس)، وببيان معانيها يتضح مفهوم الإصلاح التربوي والنفسي، لذا نقول:

(الإصلاح) لغة: مأخوذ من (الصلح)، والصاد واللام والحاء أصل واحد يدل علىٰ خلاف الفساد، يقال صلح الشيء يصلح صلاحا وصلوحا [(١)]، و(الإصلاح) ضد الإفساد، و(المصلحة) واحدة المصالح، و(الاستصلاح) ضد الاستفساد [(٢)]، و(أصلح الشيء بعد فساده): أقامه، و(الصلح): تصالح القوم بينهم، و(الصلح): السِّلم. [(٣)]

وأما الإصلاح في الاصطلاح:

فقد تعددت المفاهيم التي تصف هذا المصطلح، وتعددت استعمالاته، فمرة يراد به التطوير والتحديث، ومرة يراد به التجديد والتغيير، ومرة يراد به التمدن والتحضر، وغيرها من الاستعمالات [(٤)]، وقد عرف بعض المفسرين (الإصلاح)

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس، (٣/ ٣٠٣)، ولسان العرب لابن منظور، (٢/ ٥١٦).

(٢) ينظر: مختار الصحاح ١/ ١٧٨

(٣) ينظر: لسان العرب لابن منظور، (٢/ ٥١٧).

(٤) ينظر: تكملة المعاجم العربية، للمؤلف: رينهارت بيتر آن دُوزِي، (٦/ ٤٦١).
ومعجم اللغة العربية للدكتور أحمد مختار، (٢/ ١٣١٢).

بأنه: " عبارة عن الإتيان بما ينبغي والاحتراز عما لا ينبغي"[1]، وجاء في الجامع لأحكام القرآن أن الإصلاح هو: فعل الصلاح [2]، وجاء في التحرير والتنوير أن معنىٰ الإصلاح هو: جعل الشيء صالحا.[3]

من هذه التعريفات وغيرها يتبين أن المراد بالإصلاح: استقامة الشيء، والإتيان بالصواب، قال تعالىٰ: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٣٩﴾ [المائدة: ٣٩]، وقال سبحانه: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمًا ١٤٦﴾ [النساء: ١٤٦].

❁ ومن التعريفات التي أطلقها علماء الاجتماع على (الإصلاح):

أنه مفهوم يطلق علىٰ التغيّرات الاجتماعية أو السياسية التي تسعىٰ لإزالة الفساد [4]، وقد خصه بعضهم بالقضايا المعنوية المرتبطة بالنفس والإنسان [5]، كما عرفه البعض بأنه: تعديل في شكل الحكم أو العلاقات الاجتماعية دون المساس بأسسها، وهو ليس سوىٰ تحسين في النظام السياسي الاجتماعي[6]، وقيل هو: مجموعة من الأنشطة تهدف إلىٰ إعادة تنظيم المؤسسات الاجتماعية

(١) روح المعاني للألوسي، (٤/ ٢٠٣).

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، (٩/ ٨٩).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، (٩/ ٨٧).

(٤) ينظر: كتاب الفساد والإصلاح للأستاذ عماد صلاح داود، (ص ٣٨).

(٥) ينظر: درة الغواص في أوهام الخواص للقاسم بن علي الحريري، (١/ ٢٧١).

(٦) ينظر: الموسوعة السياسية، (ص ٥٥).

للوصول إلىٰ مستوىٰ أفضل من العدالة الاجتماعية.[١]

وجملة هذه التعريفات يعني أن الإصلاح هو نظام يسعىٰ إلىٰ الاعتناء بالشيء وتقويم اعوجاجه، والتغيير للأفضل عن طريق مجموعة من التغييرات والخطوات، التي تؤدي للوصول إلىٰ الهدف المنشود.

أما مصطلح (التربية) لغة: فهو من (ربّ)، والراء والباء يدل علىٰ أصول، فالأول: إصلاح الشيء والقيام عليه، والربّ: المصلح للشيء، يقال: (ربَّ فلان ضيعته) إذا قام علىٰ إصلاحها، والأصل الآخر: لزوم الشيء والإقامة عليه، وهو مناسب للأصل الأول، والأصل الثالث: ضم الشيء للشيء، وهو أيضا مناسب لما قبله.[٢]

والربّ: هو الله تعالىٰ، وهو رب كل شيء ومالكه، ولا يقال الرب في غير الله تعالىٰ إلا بالإضافة، و(الربّ) يطلق في اللغة علىٰ المالك والسيد والمدبر والمربي والقيّم والمنعم [٣]، ويكون الرب المصلح، يقال: (ربَّ الشيء) إذا أصلحه، وقيل هو من (الربِّ) بمعنىٰ التربية، يقال: (ربّبها) أي نماها وزادها وأتمّها وأصلحها [٤]، و(التربية والترييب): القيام علىٰ الشيء والإصلاح والمعاهدة له.[٥]

مما سبق يتبين لنا أن التربية في اللغة تدور حول معان ثلاثة: الزيادة، والرعاية

---

(١) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة للدكتور أحمد مختار عمر، (٢/ ١٣١٢).

(٢) ينظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس، (٢/ ٣٨١).

(٣) ينظر: لسان العرب لابن منظور، (١/ ٣٩٩).

(٤) ينظر: لسان العرب لابن منظور، (١/ ٤٠١، ٤٠٤، ٤٠٥).

(٥) ينظر: مشارق الأنوار لأبي الفضل السبتي، (١/ ٢٨٠).

والتنشئة، والإصلاح، قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الروم: ٣٩]، وقال سبحانه: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾﴾ [الشعراء: ١٨]، وقال سبحانه: ﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾﴾ [النبأ: ٣٧]، وبهذا نلحظ ارتباط مصطلح التربية الوثيق بمصطلح الإصلاح.

❁ التربية اصطلاحا:

تعد كلمة التربية حديثة المعنىٰ بمفهومها الاصطلاحي، حيث كان مصطلح (التأديب) هو المتداول عند العرب، وتختلف الأقوال في بيان مفهوم التربية باختلاف نظرة المتخصصين من علماء الاجتماع والنفس له، وقد اطلعت علىٰ كثير من هذه الأقوال واتضح لي أنها لا تخرج عن حدود المعنىٰ اللغوي للكلمة، ويمكن القول إن التربية: عملية بناء وتغيير في سلوك الفرد يُقصد بها تطوير قدراته ومهاراته ليكون قادرا علىٰ التعامل مع محيطه.

ويمكن القول إن التربية في مفهومها الإسلامي تعني: " تلك المفاهيم التي يرتبط بعضها ببعض في إطار فكري واحد يستند إلىٰ المبادئ والقيم التي أتىٰ بها الإسلام، والتي ترسم عددا من الإجراءات والطرائق العملية، يؤدي تنفيذها إلىٰ أن يسلك سالكها سلوكا يتفق وعقيدة الإسلام".[1]

إذا تعني التربية في المفهوم الإسلامي أنها: أسلوب نظام متكامل مبني علىٰ

(١) أصول التربية الإسلامية للأستاذ سعيد إسماعيل علي، (ص ٢٢).
وينظر: التربية وبناء الأجيال في الإسلام للأستاذ أنور الجندي، (ص ١٥٣).
وينظر: أساليب تدريس التربية الإسلامية للأستاذ يوسف الحمادي، (٢١).

تعاليم الدين الإسلامي ومقاصده ومبادئه تهدف إلىٰ تغيير سلوك الأفراد وفق هذه المقاصد والمفاهيم.

خلصنا إلىٰ هذا التعريف من عناية الإسلام بالنفس الإنسانية وتربيتها تربية أخلاقية وعقلية ونفسية، فتعاليم الدين الإسلامي تهدف إلىٰ توفير الكمال النفسي للإنسان، مما ينعكس إيجابا علىٰ الجماعة المسلمة.

أما مصطلح (النفس) لغة: فنقول (نفَس)" النون والفاء والسين أصل واحد يدل علىٰ خروج النسيم كيف كان"،

ومنه (التنفس): خروج النسيم من الجوف" [(١)]، ونفّس الله كربته، و(النفْس) بالسكون ذات الشيء وعينه، تقول: جاءني بنفْسه، و(النفْس) الروح، يقال: خرجت نفْسه أي روحه، و(النفْس) العين، يقال: أصابته نفس أي عين حاسد، و(النفْس) الدم [(٢)]، و" (التنافس): أن يبرز كل واحد من المتبارزين قوة نفسه" [(٣)]، قال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾﴾ [البقرة: ٢٠٧]، وقال سبحانه: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾ [آل عمران: ٢٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [المطففين: ٢٦].

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس، (٥/ ٤٦٠).

(٢) ينظر: الصحاح للجوهري، (٣/ ٩٨٤).

(٣) معجم مقاييس اللغة لابن فارس، (٥/ ٤٦١).

وينظر: الفروق اللغوية للعسكري، (ص ١٠٣)، والكليات للكفوي، (١/ ٨٩٧).

❁ والحالة النفسية كما عرفها علماء النفس والسلوك:

هي الحالة العامة للإنسان الناتجة عن مجمل ما انطوت عليه نفسه من ميول ونزعات وانطباعات ومشاعر، أو هي: المشاعر والسلوك والأحاسيس وطريقة التصرف لدىٰ الأفراد والجماعات.(١)

وعلىٰ هذا فعلم النفس: يُعنىٰ بدراسة وتفسير السلوك الإنساني بالنظر إلىٰ الظواهر العامة للنفس الإنسانية، كالإدراك والقدرات وغير ذلك.

من هنا يمكننا القول إن **مفهوم الإصلاح التربوي والنفسي من منظور إسلامي يعني:** تقويم وتطوير وبناء الإنسان عن طريق مجموعة من الخطوات وفق مبادئ وقيم الإسلام، سواء في البنية الاجتماعية أو التعليمية، مما يمكّن الإنسان من مواجهة الأزمات التي تطرأ عليه باتزان وحكمة للوصول إلىٰ الاستقرار النفسي والسلوكي.

❁ ثانيا: عناية القرآن بالإصلاح التربوي والنفسي:

اعتنىٰ القرآن الكريم عناية تامة بموضوع الإصلاح في كافة مناحي الحياة، فوردت كلمة (صلح) ومشتقاتها مئة وثمانين ١٨٠ مرة في القرآن الكريم، فجاءت تارة صفة للعمل، قال تعالىٰ: ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [هود: ٤٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الكهف: ٨٨]، وسمىٰ الله الساعين إلىٰ إصلاح الناس (مصلحين)، قال تعالىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾﴾ [الأعراف: ١٧٠]، وغيرها من

(١) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة للدكتور أحمد مختار، (٣/ ٢٢٥٦).

الاستعمالات، فكان الغرض الأكبر للقرآن الكريم هو إصلاح الإنسانية كلها، إصلاح أفكارها ومعتقداتها وسلوكياتها وتهذيب أخلاقها وتزكيتها، وهو منهج الرسل عليهم السلام، قال تعالىٰ علىٰ لسان شعيب عليه السلام: ﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ﴾ [هود: ٨٨]، وقد قرن القرآن الكريم بين الإصلاح والإيمان وبينه وبين التقوىٰ للدلالة علىٰ أهميته وارتباطه الوثيق باعتقاد الإنسان وسلامة فكره، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۖ فَمَنۡ ءَامَنَ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الأنعام: ٤٨]، وقال سبحانه: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأعراف: ٣٥]، كما شدّد القرآن علىٰ بيان أهمية الإصلاح فبيّن آثاره وثماره، وأوضح أنه سبب لدفع الهلاك، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [هود: ١١٧]، كما أنه سبب لتحقيق الأمن، قال تعالىٰ: ﴿فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأعراف: ٣٥]، وهو سبب لاستجلاب المغفرة، قال تعالىٰ: ﴿وَإِن تُصۡلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٢٩﴾﴾ [النساء: ١٢٩]، وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۖ كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۖ أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥٤﴾﴾ [الأنعام: ٥٤]، والإصلاح سبب لاستحقاق هذه الأمة وصف الخيرية وحصولها علىٰ الفوز والفلاح، قال تعالىٰ: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران: ١١٠].

و علىٰ اعتبار أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أحد أدوات الإصلاح وأهمها في المجتمعات، فالإصلاح في القرآن شامل للأفراد والجماعات، وهو خاصية من خصائص المجتمع المؤمن، بل هو أمر فطري تمارسه النفس السويّة

في كل شأن من شؤونها. وخطة الإصلاح في الإسلام مبنية علىٰ صلاح النفس الإنسانية، فبصلاحها يكون صلاح كل شيء، وبفسادها يكون فساد كل شيء، قال ﷺ: « ألا إن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب » [1]، وقد جاءت آيات كثيرة في القرآن الكريم تدعو الفرد إلىٰ إصلاح نفسه أولا، ثم إصلاح مجتمعه، قال تعالىٰ: ﴿فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الأنعام: ٤٨]، وقال سبحانه: ﴿وَإِن تُصْلِحُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾﴾ [النساء: ١٢٩]، ولا شك أن جوهر الإصلاح يكمن في الصلاح التربوي، وأساسه صلاح النفس؛ لذا اشتمل القرآن علىٰ منهج متكامل لإصلاح وتربية النفس الإنسانية، وتهذيبها، ووقايتها من كل انحراف نفسي أو شذوذ سلوكي، مع بيان العلاج عند ظهور الخلل، حيث جاءت الآيات مشدّدة علىٰ أهمية تزكية النفس وترقيتها والسمو بها في كثير من المواضع، فأولىٰ القرآن الكريم النفس الإنسانية عناية تامة، وبيّن حقيقتها وطبيعتها، وخطورتها وأنها قد تكون سببا لفوز الفرد أو خسارته، قال تعالىٰ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس: ٧ – ١٠]، وقال سبحانه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾﴾ [الأعلىٰ: ١٤]، ثم اعتنىٰ القرآن الكريم بتربية هذه النفس في جميع أطوارها منذ لحظة تكونها وحتىٰ نهاية حياتها، فجاءت التربية القرآنية متوافقة مع طبيعة الإنسان وجميع مراحله العمرية، فاشتملت التربية علىٰ مرحلة الرعاية والتنشئة، ثم التعليم والتزكية؛ حتىٰ يصلح بعد ذلك الفرد لتحقيق الخلافة في الأرض علىٰ أكمل وجه، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: من استبرأ لدينه، حديث رقم (٥٢)، (١/ ٢٠).
وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، باب: أخذ الحلال وترك الشبهات، حديث رقم (١٠٧)، (٣/ ١٢١٩).

جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ [البقرة: ٣٠]، فمراد الله عز وجل من خلق الأرض وجعل الناس خلفاء فيها هو إصلاحها، ولن تتحقق هذه الخلافة إلا بترقية النفس الإنسانية وسموّها في مراقي المعاني الإنسانية من علم وفضيلة وتراحم وتكافل، لذا كان من مقاصد إرسال الرسل معاهدة النفس بالتزكية والتطهير، فإصلاح النفس وتربيتها الركيزة الأولىٰ لنشر الخير والاستقامة، قال تعالىٰ: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ [البقرة: ١٢٩]، وقال سبحانه: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ [البقرة: ١٥١]، وقال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ [آل عمران: ١٦٤]، ففي هذه الآية" يُذكّر تعالىٰ عباده المؤمنين بما أنعم عليهم من بعثة الرسول ﷺ يتلو عليهم آيات الله المبينات ويزكيهم: أي يطهرهم من رذائل الأخلاق ودنس النفوس وأفعال الجاهلية" [(١)]، وذلك بتربيتها علىٰ الأخلاق الجميلة فيزكيهم من الشرك إلىٰ التوحيد ومن الرياء إلىٰ الإخلاص ومن الكذب إلىٰ الصدق ومن الخيانة إلىٰ الأمانة، وغير ذلك من أنواع التزكية.[(٢)]

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، (١/ ٤٦٤).

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي، (١/ ٧٤).

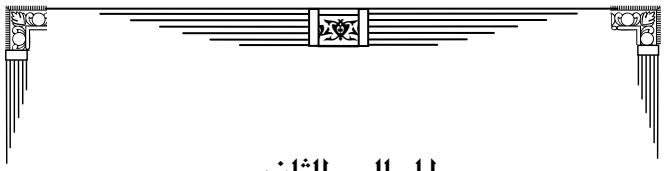

المطلب الثاني
أثر العمل الخيري
في الإصلاح التربوي والنفسي للمجتمع:

اتفق علماء الاجتماع وعلماء التربية وعلماء النفس علىٰ أن للخدمات المجتمعية التي يقدمها الفرد طوعا من تلقاء نفسه دون مقابل دور كبير في مواجهة الانحراف السلوكي والنفسي، وقد يكون هذا الدور وقائيا قبل حدوث الخلل، وقد يكون علاجيا عند وقوع الانحراف، حيث يؤدي العمل الخيري إلىٰ تنمية قدرة المجتمع علىٰ حل مشكلاته التربوية والنفسية، من خلال الجهود الذاتية التي يمارسها المتطوعون.

وقد سبق القرآن الكريم إلىٰ تأكيد ذلك حين دعا بين ثناياه إلىٰ التكافل والتراحم، والحث علىٰ بذل العلم، ونشر الوعي، والصدقة، والنفقة علىٰ الأقارب والجيران والمحتاجين، وصلة الرحم، والسعي علىٰ الأرملة والمسكين، وحين أوضح أن لأعمال الخير دورها الفعال في ترابط الأمم، وبناء المجتمعات، وبث الأمن والطمأنينة بين أفرادها، مما يعود عليهم بالاستقرار النفسي والاجتماعي، والذي يظهر جليا في سلوكياتهم وأخلاقهم وتعاملاتهم، فالزكاة وهي أحد أركان الإسلام وظيفتها تطهير النفس من الشح والكبر، كما فيها إرشاد للقيام بالمسؤولية تجاه الآخرين، قال تعالىٰ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [التوبة: ١٠٣]، وبين سبحانه أن أحد أعمال تزكية النفوس وتطهيرها وأحد أسباب النجاة من النار دفع الصدقات للفقراء

والمحتاجين، قال تعالىٰ: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾﴾ [الليل: ١٧ – ١٨]، وقال تعالىٰ لنبيه عليه الصلاة والسلام آمرا له بالأخذ بمكارم الأخلاق، ومنها العطاء بدون استكثار سواء كان ذلك عبادة لله أو بذل علم ومال لخلق الله، والابتعاد عن أخلاق أهل الجاهلية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾﴾ [المدثر: ١ – ٦] [1]، من هذا وغيره يظهر الأثر الإيجابي للعمل الخيري علىٰ السلوك الإنساني والاستقرار النفسي للفرد، والدور الكبير في التخفيف من المشكلات التربوية والنفسية للمجتمعات، والتي أرجع الباحثون ظهورها إلىٰ أسباب منها: ضعف الصلة بالله، وعدم إشباع الحاجات النفسية والاجتماعية والمادية لدىٰ الفرد، ويتجلىٰ البعد النفسي والتربوي للعمل الخيري في أمور، منها:

– تنمية مبدأ الاعتزاز بالدين الإسلامي ومبادئه وقيمه، وإشباع الجانب الروحي والديني لدىٰ الفرد، وذلك عند ممارسة العمل الخيري بدافع التعبد لله تعالىٰ، والالتزام بتعاليم الإسلام، قال تعالىٰ: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧]، فالعمل الخيري صورة إيمانية تترجم مشاعر المؤمن، كما يعد تجسيدا صحيحا لروح الإيمان، وتحقيقا لمعنىٰ الخلافة في الأرض، قال تعالىٰ: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود: ٦١]، وعمارة الأرض تكون بكل ما فيه نفع الفرد والمجتمع، فتأخذ أشكالا عدة: منها بذل المنافع للناس في شتىٰ الصور وجميع المجالات.

– في كثير من الأحيان يعالج الانخراط في الأعمال التطوعية سلوك الرياء، فهو يدفع إلىٰ تحقق الإخلاص حين لا يطلب المتطوع أجرا ماديا ولا معنويا من

(١) ينظر: اللباب في علوم الكتاب لابن عادل، (١٩/ ٥٠١)، ومحاسن التأويل للقاسمي، (٩/ ٣٥٢).

الناس مقابل خدماته وجهوده ووقته، وحين يعلم بأن جهوده لا تنفعه في الآخرة إلا عند إخلاص النية لله تعالىٰ وابتغاء الثواب منه سبحانه، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٢] [١]،"فهذا إخبار عن نفقات المؤمنين الصادرة عن إيمانهم أنها لا تكون إلا لوجه الله تعالىٰ، لأن إيمانهم يمنعهم عن المقاصد الردية ويوجب لهم الإخلاص" [٢]، وقال سبحانه: ﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الروم: ٣٨]، أي: " يريدون ذاته بمعروفهم، لا رياء ولا سمعة ولا مكافأة يد" [٣]، وهنا" إشارة إلىٰ أن الاعتبار بالقصد لا بنفس الفعل"[٤]، والمقصود من الآية: " إبطال عادة أهل الجاهلية إذ كانوا يؤثرون البعيد علىٰ القريب في الإهداء والإيصاء حبا للمدحة، ويؤثرون بعطاياهم السادة وأهل السمعة تقربا إليهم، فأُمر المسلمون أن يتجنبوا ذلك".[٥]

- للعمل الخيري إسهام كبير في التقليل من آفات العصر النفسية كالاكتئاب والقلق والتوتر والشعور باليأس والإحباط وغير ذلك؛ لأن فيه تلبية للمطالب الفطرية للنفس الإنسانية، فالعمل الخيري من صدقة وفعل معروف له تأثير عجيب في شرح الصدور [٦]، فيؤدي إلىٰ شعور الفرد بالإنجاز، وتذوق طعم

(١) ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية، (١/ ٣٦٨)، والتفسير الكبير للرازي، (٧/ ٦٦)، والبحر المحيط لأبي حيان، (٢/ ٦٩٥)، والتحرير والتنوير لابن عاشور، (٣/ ٧٢).

(٢) تفسير السعدي، (١/ ١١٦).

(٣) محاسن التأويل للقاسمي، (٨/ ١٦).

(٤) التفسير الكبير للرازي، (٢٥/ ١٠٣).

(٥) التحرير والتنوير لابن عاشور، (٢١/ ١٠٤).

(٦) ينظر: محاسن التأويل للقاسمي، (٢/ ٢١٩).

النجاح، والقدرة علىٰ المساهمة في تغيير حياة الآخرين بما يعود عليهم بالنفع، مما يؤدي إلىٰ زيادة الثقة في النفس، وتقدير الذات، والشعور بالانتماء، وبالتالي الشعور بالرضا والسعادة، فالمسلم يعي أن أحد أسباب سعادته في الدنيا والآخرة هو قيامه بأعمال البر في شتىٰ المجالات، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ﴾[البقرة: ١١٠]، أي لن تعدموا جزاءه وثوابه، وكفىٰ بهذا الوعد من الله للمرء ليشعر بمنتهىٰ الرضا وتمام السعادة [(١)]، كما أن إنجازات المرء في العمل التطوعي قد تؤدي به إلىٰ حصول الثناء والمدح في الدنيا وهذا مما يسهم في استقرار صحته النفسية، قال تعالىٰ: ﴿وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨٠]،" فالمراد بالخير حصول الثناء الجميل في الدنيا والثواب الجزيل في الآخرة".[(٢)]

- يساعد العمل الخيري علىٰ ضبط انفعالات الإنسان، من خلال بذله المنافع دون مقابل، ومن خلال المواقف التي يتعرض لها أثناء قيامه بالأعمال الخيرية المختلفة، كما يساعد علىٰ توجيه العواطف والمشاعر لأعمال الخير والبناء، يدل علىٰ ذلك قول الله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٤]، ففي الآية أوصاف للمتقين المحسنين منها: أنهم لا يتركون الإنفاق" سواء سرّهم بأن كان علىٰ وفق طبعهم، أو ساءهم بأن كان علىٰ خلاف طبعهم" [(٣)]،

(١) ينظر: التفسير الكبير للرازي، (٤/ ٥)، والبحر المحيط لأبي حيان، (١/ ٥٦٠).

(٢) التفسير الكبير للرازي، (٧/ ٨٧).

وينظر: البحر المحيط لأبي حيان، (٢/ ٧١٩).

(٣) التفسير الكبير للرازي، (٩/ ٣٦٦).

وسواء كان" حال الرخاء واليسر أو في حال الضيقة والعسر" [1]،" وإنما افتُتح بذكر الإنفاق لأنه أشق شيء علىٰ النفس، فمخالفتها فيه منقبة شامخة" [2]، يؤكد ذلك اقترانه بصفة كظم الغيظ في الآية، والتي تعني إمساكه وكتمه مما يستلزم في الإنسان عزيمة راسخة في نفسه، وقهرا لإرادة شهوته [3]، كما دلت الآية علىٰ عمل صالح ثالث وهو العفو عن ظلم الناس وإساءتهم، وهذه" صفات ثناء وتنويه، وهي ليست جماع التقوىٰ، ولكن اجتماعها في محلها مؤذن بأن ذلك المحل الموصوف بها قد استكمل ما به التقوىٰ، وتلك هي مقاومة الشح المطاع، والهوىٰ المتبع" [4]، قال الرازي في تفسيره شارحا معنىٰ الآية: " واعلم أن الإحسان إلىٰ الغير إما أن يكون بإيصال النفع إليه أو بدفع الضر عنه، فهو المراد بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾، ويدخل فيه إنفاق العلم، وذلك بأن يشتغل بتعليم الجاهلين وهداية الضالين، ويدخل فيه إنفاق المال في وجوه الخيرات والعبادات، وأما دفع الضرر عن الغير فهو إما في الدنيا وهو أن لا يشتغل بمقابلة تلك الإساءة أخرىٰ، وهو المراد بكظم الغيظ، وإما في الآخرة وهو أن يبرئ ذمته عن التبعات والمطالبات في الآخرة، وهو المراد بقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ فصارت هذه الآية من هذا الوجه دالة علىٰ جميع جهات الإحسان إلىٰ الغير". [5]

- للعمل الخيري دور في معالجة كثير من الصفات المكروهة في النفس الإنسانية كالكبر والبخل، فهو يعزّز صفة التواضع عند الفرد ويكسر حاجز

(١) محاسن التأويل للقاسمي، (٢/ ٤١٢).

(٢) المرجع السابق.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، (٤/ ٩١).

(٤) المرجع السابق، (٤/ ٩٠).

(٥) التفسير الكبير للرازي، (٩/ ٣٦٧).

الغرور، ويحدّ من نزعة الفردية والأنانية، كما يعالج الشح البشري ويطهّر النفس من اللهفة علىٰ المال، ويؤدي بها إلىٰ البذل والإيثار بدون مقابل، كما يمنعها من الاستغراق في طلب الدنيا [1]، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٢﴾ [المجادلة: ١٢]، أي: أطهر" لأنفسكم من رذيلة البخل والشح، ومن حب المال وإيثاره الذي قد يكون شعار المنافقين" [2]، وقال تعالىٰ: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٦﴾ [التغابن: ١٦]،" فحصر المفلحين فيمن يوق شح نفسه، والشحيح الذي لا يحب فعل الخير، والذي يضر نفسه ويكره النعمة علىٰ غيره". [3]

- يقي العمل الخيري من الانحراف السلوكي والأخلاقي والعنف الاجتماعي الذي قد يسببه العوز والفقر في بعض الأحيان، فعند سد حاجة الناس المادية وتحقيق كرامتهم الإنسانية يعود المجتمع إلىٰ اتزانه واستقراره التربوي والنفسي.

- ينمي العمل الخيري حس الانتماء الوطني لدىٰ أفراد المجتمع عند شعورهم بالتراحم والتآلف والترابط، فهو وسيلة لترجمة شعارات الولاء والانتماء بشكل عملي ملموس، فتصبح المواطنة فعالة عند محاربة الإقصاء؛ لأن العمل الخيري يمثل عنصرا رئيسيا في الانخراط المدني الواسع.

- يرفع العمل الخيري من مستوىٰ الدافعية للعمل والإنجاز لدىٰ الأفراد،

(١) ينظر: التفسير الكبير للرازي، (١٦/ ٧٧).

(٢) محاسن التأويل للقاسمي، (٩/ ١٧٤).

(٣) مجموع الفتاوىٰ لابن تيمية، (١٨/ ٣٣٥).

ودفع عجلة التنمية في المجتمع، ومواجهة السلبية واللامبالاة؛ بسبب رفع مستوىٰ الإحساس بالمسؤولية لدىٰ الفرد، ووعيه واحترامه لحقوق الآخرين، مما يحدّ من العزلة وما يترتب عليها من أضرار نفسية وأخلاقية علىٰ المجتمع،

- للعمل الخيري دور فاعل في بث الطمأنينة وتحقيق الأمن في المجتمع من خلال ترابط أفراده ومساعدة بعضهم البعض، وهذا يؤدي إلىٰ الاكتفاء الذاتي والتماسك الاجتماعي والأمن الفكري، من خلال اتفاق أفراد المجتمع حول أهداف مجتمعية إيجابية موحدة، الأمر الذي يقي المجتمعات من التطرف والإرهاب.

فقد أمر الله جل وعلا في أكثر من موضع في القرآن بالإحسان إلىٰ الناس، وجعله سبحانه من كمال البر [1]، وفي ذلك إشارة إلىٰ دعوة المسلم بالاهتمام بدوره تجاه غيره وتحمل مسؤوليته نحو مجتمعه، قال تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة: ١٧٧]، فجعل الله الإحسان إلىٰ الناس من صفات المؤمنين الصادقين في إيمانهم والمشتملة أخلاقهم علىٰ كل خصال الخير[2]، وهذه الصفات" من أهم مقاصد الشريعة وفيها جماع صلاح النفس والجماعة".[3]

(١) ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية، (١/ ٢٤٣).

(٢) ينظر: تفسير السعدي، (١/ ٨٢).

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور، (٢/ ١٢٨).

- يخفف الانخراط في الأعمال الخيرية من السلوك العدائي لدىٰ المتطوع تجاه الآخرين، والنظرة التشاؤمية تجاه الكون والحياة، وينمي حس التفاؤل والأمل، وبالتالي الرغبة في البناء والإعمار الذي هو أحد مقاصد الخلافة في الأرض.

- في العمل الخيري استثمار للطاقات، وتنمية للمهارات، وبناء للقدرات، واستغلال الأوقات بكل ما هو نافع، كما أنه يؤدي إلىٰ اكتساب علوم ومعارف جديدة.

- العمل الخيري وسيلة تربوية عملية ينبغي علىٰ المؤسسات التربوية والإصلاحية تفعيلها والاستفادة منها، وهذا ما دعت إليه بعض المؤتمرات والدراسات من جعل العمل الخيري أحد الوسائل الممنهجة لتصحيح الانحراف في السلوك الإنساني والنفس الإنسانية من خلال ما أُطلق عليه باسم: (العقوبات البديلة)، حيث تحلّ الأعمال الخيرية التطوعية محل بعض العقوبات التعزيرية وفق شروط معينة لأثرها الإيجابي في إصلاح حال المعاقَب.

من هذا وغيره يتضح قوة تأثير العمل الخيري علىٰ الأفراد من خلال ما يولّده فيهم من قيم نفسية وتربوية كالثقة في النفس، والتفاعل المجتمعي، وتنمية المهارات، واستثمار الأوقات، والشعور بالانتماء، والمسؤولية الاجتماعية، مما يدعم التماسك الأخلاقي والتربوي للمجتمعات، ويؤدي إلىٰ إصلاحها، فإن من أعظم علاج الأمراض بأنواعها" فعل الخير والإحسان والذكر والدعاء والتضرع والابتهال إلىٰ الله والتوبة، ولهذه الأمور تأثير في دفع العلل وحصول الشفاء أعظم من الأدوية الطبيعية".[1]

(١) ينظر: الطب النبوي لابن القيم، (١/ ١٠٧).

خاتمة البحث

بعد هذه الدراسة لموضوع: **(العمل الخيري في القرآن وأثره في الإصلاح التربوي والنفسي)** تبين لي:

- أن مصطلح (العمل الخيري) لم يرد في القرآن الكريم، لكن دلّ علىٰ معناه كثير من التراكيب المرادفة.

- اتساع مجالات العمل الخيري في القرآن الكريم، المادية منها والمعنوية.

- عناية القرآن الكريم بالإصلاح التربوي والنفسي للإنسان.

- الأثر الإيجابي الكبير للعمل الخيري في إصلاح الجانب التربوي والنفسي للإنسان، وبالتالي إصلاح ذلك في المجتمع.

لذا أوصي بما يلي:

- إشراك العملية التعليمية في إدخال مفهوم العمل الخيري في المناهج التعليمية، لما له من أثر إيجابي علىٰ الطلاب باستغلال أوقاتهم، واستثمار طاقاتهم، وزيادة مستوىٰ الوعي لديهم، وتهذيب سلوكياتهم، ورفع معنوياتهم.

- التشجيع علىٰ العمل الخيري في الهيئات والجمعيات الخيرية علىٰ اختلاف مجالاتها.

- تفعيل دور العقوبات البديلة، والذي نادت به بعض الدراسات

والمؤتمرات كحلّ بديل للسجون لبعض المخالفات، وفق أنظمة الشرع، بما يعود علىٰ المخالف ومجتمعه بالنفع الكبير.

- تفعيل دور الإعلام ليقوم بواجبه في رفع مستوىٰ الوعي لدىٰ أفراد المجتمع بأهمية العمل الخيري والانخراط فيه.

- عمل اللقاءات والمؤتمرات السنوية أو الدورية للمؤسسات الخيرية وللمتطوعين يقدمون فيها خبراتهم، وطموحاتهم.

وبعد، فهذا ما يسر الله كتابته من جهد متواضع، سائلة المولىٰ أن يسهم في إثراء فعاليات المؤتمر، وأن يكون لبنة في ترسيخ ثقافة العمل الخيري في المجتمع، والحمد لله رب العالمين.

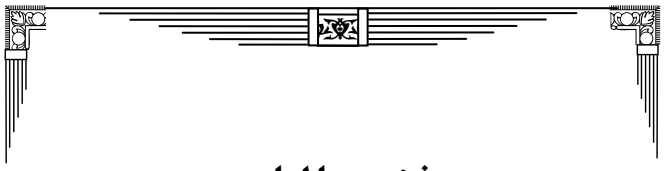

فهرس المراجع

أساليب تدريس التربية الإسلامية: يوسف الحمادي، دار المريخ، الرياض، ط ١٩٨٧م.

الإسلام والأمن الاجتماعي: محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٤١٨ هـ.

أصول التربية الإسلامية: سعيد إسماعيل علي، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ط ١٩٨٧م.

البحر المحيط في التفسير: أبو حيان محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر، تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

التربية وبناء الأجيال في الإسلام: أنور الجندي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط ١٩٧٥م.

التطوع في الدفاع المدني والحماية المدنية: مساعد منشط اللحياني، الناشر: مطابع الحميضي، الرياض.

تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (المتوفى:

٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

تفسير المراغي: أحمد بن مصطفىٰ المراغي (المتوفىٰ: ١٣٧١هـ)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولىٰ، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م.

تكملة المعاجم العربية: رينهارت بيتر آن دُوزِي (المتوفىٰ: ١٣٠٠هـ)، نقله إلىٰ العربية وعلق عليه: محمَّد سَليم النعَيمي وجمال الخياط، الناشر: وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، الطبعة: الأولىٰ، من ١٩٧٩ - ٢٠٠٠ م.

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر السعدي (المتوفىٰ: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولىٰ ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.

الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (المتوفىٰ: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

دراسة استطلاعية لاتجاهات بعض أفراد المجتمع نحو مفهوم العمل التطوعي ومجالاته من وجهة نظرهم: عبد الحكيم موسىٰ، جامعة أم القرىٰ، كلية التربية، مكة المكرمة.

درة الغواص في أوهام الخواص: القاسم بن علي بن محمد بن عثمان، أبو محمد الحريري البصري (المتوفىٰ: ٥١٦هـ)، المحقق: عرفات مطرجي، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٨/ ١٩٩٨هـ.

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

الطب النبوي: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الهلال، بيروت.

العمل الاجتماعي مع التركيز على العمل التطوعي في المملكة العربية السعودية: عبد الله النعيم، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض.

الفروق اللغوية: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.

القاموس المحيط: أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

كتاب الفساد والإصلاح: عماد صلاح داود، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط ١٠٠٣م.

الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: أيوب بن موسى الحسيني

الكفوي، أبو البقاء (المتوفى: ١٠٩٤هـ)، المحقق: عدنان درويش، محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت.

اللباب في علوم الكتاب: أبو حفص سراج الدين عمر بن عادل النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م.

لسان العرب: محمد بن مكرم بن على ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٤ هـ.

مجموع الفتاوى: تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

محاسن التأويل: محمد جمال الدين بن محمد القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٨ هـ.

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٢٢ هـ.

مختار الصحاح: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

مشارق الأنوار على صحاح الآثار: عياض بن موسى السبتي، أبو الفضل (المتوفى:

٥٤٤هـ)، دار النشر: المكتبة العتيقة ودار التراث.

معجم اللغة العربية المعاصرة: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): أبو عبد الله محمد بن عمر بفخر الدين الرازي (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٠هـ.

مقاصد الشريعة الإسلامية: محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، المحقق: محمد الحبيب ابن الخوجة، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، عام النشر: ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

الموسوعة السياسية: من منشورات الدار العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط ١٩٧٤م.